

تحقيق يبدو شارع جان دارك اليوم وكأنه خارج من مسابقة لأجمل شارع في بيروت. أرصفة واسعة ومريحة للمشاة، مقاعد منمقة التصميم، أشجار والكثير من الاهتمام بالتفاصيل. لكن مثل مسابقات الجمال، تختبئ السياسة خلف الشكل. تمّ «تطوير» شارع جان دارك خلال الأشهر الماضية، وما هو اليوم يُطرح كـ «شارع نموذجي» في

شارع الجامعة الأميركية (النموذجي) في بيروت ما ينقص فقط هو

جنى نخال

منذ نحو ثمانية أشهر، بدأت بلدية بيروت بعملية «إعادة تاهيل» شارع جان دارك في منطقة رأس بيروت، الحمراء. من المفرح أن تقوم بلدية بيروت بتحسين طرقات المدينة وأرصفاتها، لتصبح صديقة للمشاة وذوي الاحتياجات الخاصة، وليصبح المجال العام أكثر راحة. لكن ما يحصل في شارع جان دارك يختلف تماماً عن مبادرة مؤسسات الدولة: بمليون ونصف مليون دولار قرّرت بلدية بيروت بأن شارع بطول أقل من كيلومتر واحد. هل هذا هو الشارع البيروتي الذي يحتاج إلى تغيير وتحسين؟ في الحقيقة، القرار لا يعود لبلدية بيروت، إنّما للجامعة الأميركية في بيروت، عبر «مبادرة حسن الجوار»، التي طرحت المشروع على البلدية وصمّمته. قبلت البلدية بصدور واسع أن تنفّذ مخطّطات «الأميركية»، والمشكلة تبدأ هنا: من القرار. مال دافعي الضرائب في بيروت، يذهب ليس حيث يقرّرون هنّ وهم أو بلديتهم نيابة عنهم، بل مؤسسة خاصة، مؤسسة من أكبر الملاعبين الاقتصاديين والسياسيين في منطقة رأس بيروت. من الأسهل أن نرى العملية بهذه الطريقة: الجامعة الأميركية تريد تحسين الشارع الموازي لمدخلها الرئيسي، وبلدية بيروت تمول. لم لا؟

لم يتطرق أحد لقانون منع التدخين داخل حرم الجامعة الأميركية، الذي تمّ تطبيقه هذا الشهر مع بداية الفصل. بمعنى أن حرم الجامعة الأميركية بكامله، من مبانيه ومساحاته الخضراء أصبح مكاناً خالياً من التدخين، ممّا يتطلّب من المدخنين، طلاباً وموظّفين وأساتذة، الخروج من الحرم للتدخين. وبينما تؤمّن الجامعة مساحة خارج شوارع جان دارك الذي يمتدّ مباشرة خارج الباب الرئيسي للجامعة، بشكل أفضل مكان للعدد الكبير من المدخنين المتوقع استخدامهم للمكان. أي أن الجامعة طرحت تطوير هذا الشارع بالذات، ودوناً عن كل الشوارع الأخرى المحيطة بها، لأنه أولاً يخدم طلاب الجامعة من حيث المطاعم والمكتبات وغيرها من جهة، ولأنه أيضاً الأقرب لبوابة الجامعة من حيث تأمين مساحة للمدخنين. وهم لم يستطيعوا تنفيذ هذه الفكرة في شارع بلس، بسبب المشاكل والتعقيدات مع أصحاب المحلات، خاصة المطاعم.

مليون ونصف مليون دولار، رقم كبير. يدفع من خزينة «رسمية»، من ميزانية بلدية لا تعالج «الأساسيات»، في مدينة أصبحت كل يوم غير قابلة للعيش. التغيير لن يمسه سوى قلة قليلة من «سكان رأس بيروت» الذين يعانون من مشاكل مختلفة، لم يشعر بها حتى العاملون على هذا المشروع.

لكن ماذا عن سكان الشارع ومن حوله؟ تغبّر الشارع طبقياً وديمغرافياً. لم يعد هناك «حي»، فمواصفات الـ «حي»، والعلاقات الاجتماعية والعائلات التي كانت تعيش هنا، اختفت باختفاء النسيج العمراني القديم، بقدم المطورين وهدم المباني القديمة وبناء الأبراج

والمباني الجديدة في الشارع (نحو 7 مباني جديدة أبراج في الشارع، وعقارين هائل الحجم كان عليهما عدد من القصور والمباني التراثية). الطريف في الأمر، أن معماريين ومعماريات وأنتروبولوجيين يطرحون هذا المشروع، من دون أن يكونوا على علم بما سيؤثر عليه هذا التطوير من جنون في أسعار الشقق والعقارات في الشارع، ممّا سيزيد من موجة الإحلال الطبقي العمراني، القوية أصلاً. بالإضافة إلى هذه المشاكل كلّها، ماذا يستفيد أهل رأس بيروت وشارع جان دارك من هذا التحسين بالذات؟

أجمع أصحاب المحال القديمة في الشارع بأن التحسين هذا لا يتوجّه لهم، ويأن زبائنهم، على العكس، يستصعبون المجيء بسبب غياب أماكن لركن سياراتهم. التحسين يستهدف طلاب الجامعة وليس أهل المنطقة. يبنى هذا بتغيير إضافي متوقع في الشارع على مستوى طبيعة الخدمات: استبدال ما تبقى من المحال القديمة التي تعتمد على زبائن من سكان المنطقة، أي تغيير وجهة استخدام الشارع land use لتصبح محال تقدم خدمات محددة لطلاب «الأميركية». أي أن الـ d'être، سبب وجود الشارع بحد ذاته، سيكون لخدمة الجامعة. في الوقت نفسه الذي كان العمّال يرفضون الشارع الجديد، تمّت إزالة أربعة أبنية تراثية من أقدم ما كان موجوداً في هذا الشارع. من الأكثر «حساسية»، ربّما، لمشاكل سكان المنطقة وهمومهم، أن يبقوا في المنطقة، وألا تتغيّر المنطقة بهذا الشكل الدرامي. وأن يكون هناك

نسيج عمراني اجتماعي يسمح لنا بتسمية الحي حياً. كان من الأفضل، ربّما، أن تبحث البلدية في إمكانية المحافظة على هذه البيوت، أو استملاكها؟ لكن ذلك لن يعود بالمنفعة على الجامعة وموظّفيها وطلابها وأساتذتها. يبقى السؤال الأساسي: لماذا مؤّلت البلدية المشروع؟ الجامعة الأميركية هي التي اقترحتته وهي المستفيد الأول منه. لماذا لا تموله بنفسها وتظهر قوة «اهتمامها» الحقيقي بالجوار وبكل ما تقوله في مشروعها؟

النولبيرالية والسلطة

تقول منى حلاق، مديرة مبادرة «حسن الجوار»، في مقابلة لها أنه «يوجد لدينا واجب أدبي تجاه هذه

أجمع أصحاب المحال القديمة في الشارع بأن التحسين هذا لا يتوجّه لهم

المنطقة، يتمثل بأن تساهم الجامعة بتحسين المعيشة فيها وتحسين العمران وحل مشاكلها البيئية، وحل مشاكلها من جهة أزمة السير لأن هناك نقصاً بمواقف السيارات، وحل مشكلة النفايات في ما يتعلق بإعادة التدوير، وحل مشكلة تفريغ المنطقة من سكانها، إذ أن الهجمة العمرانية (التي توقفت الآن نوعاً ما) على مدى العشرين سنة الماضية أجبرت أهل المنطقة، خصوصاً الذين كانوا يسكنون في بيوت قديمة، على ترك بيوتهم

ترميم الذاكرة بقطع الـ«ليغو»

متابعة صفحة «مبادرة حسن الجوار» AUB neighborhood initiative على فايسبوك جديرة بنقل نظرة المسؤولين عن هذه المبادرة، لمشاكل الأحياء المحيطة بالجامعة الأميركية. من مشاريع إعادة التدوير، إلى تشجير السطوح، إلى مكتبات الشارع ومشروع لترميم الأجزاء المدمّرة من الرصيف بقطع الـ«ليغو»، مبادرات صغيرة بسيطة تطرح كأنها «الحل». لكنها حلول الزوار، حلول من يمرّ بالشارع وليس من يعيش أو يعمل فيه. تبدو المبادرة، وبالرغم من الأبحاث والنقاشات المفترض أنها قامت بها مع السكان، تبدو كمن يحل مشاكل تراها هي، لا مشاكل أهل المنطقة من تغيير ديمغرافي طبقي عمراني. من المفيد التعلم من تجارب أخرى، لكن من المضحك نسخ ما يحصل في مدن لا تشبهنا، ذات مشاكل مختلفة عن مشاكلنا.

